

حول الإسلام في أفريقيا

الهيئات التنصيرية لكي تتمكن من تنظيم بعثاتها وتدريب رجالها في ضونها . فعلاً يقول سميث (وكتابه صدر سنة ١٩٢٢م) كما نقل الدكتور زناتي عنه : « فضلاً عن ذلك فإن الدعوة إلى الإسلام في افريقية لا يتولى امرها رجال بيض غرباء يمارسون تقاليد اجتماعية مغايرة ، وإنما رجال من اللون الافريقي نفسه (او لون قريب منه) كما ان الداعية المسلم ، وإن كان ذا مستوى حضاري اسمي بشكل ظاهر ، فهو ليس على مسافة بعيدة إن درجة مستحيلة ، كما هو الحال بالنسبة للاروبي . فليس ثمة هوة بين الداعية المسلم - سواء اكان تاجراً او واعظاً - وبين الافريقي كتلك الهوة التي بين الداعية النصراني والافريقي - فسميث هنا يتكلم عن مشاكل التنصير في افريقية في الربع الاول من القرن العشرين ، وما ذكره كان من اكبر العقبات في طريق التنصير : ولكن الوضع تغير الآن ، واهدى المنصرون بداهلهم إلى شيتين : ١ - حاولوا إقناع القبائل الافريقية انه لا علاقة لهم بالسياسة الاستعمارية التي تنتهجها حكوماتهم ، وانهم معادون لحركات التمييز العنصري الذي يمارسه الجنس الابيض في افريقية ضد الاهالي السود .

وقد نجح بعضهم في خداع الناس ، واكتسب شعبية كبيرة عند الافريقيين كعمارض للتمييز العنصري ، بينما لم يكن ذلك إلا لاكتساب تعاطفهم ولأجل الترفل إليهم لترويج النصرانية .

■ قرأت مقال الدكتور محمود سلام زنتاتي « دور الإسلام والنصرانية في افريقية في نظر الكتاب الغربيين » (الامة : العدد ٥١ ، ربيع الأول ١٤٠٥هـ) وأريد أن اعير عن شعوري الخاص بقضية الإسلام والنصرانية في افريقية . وكلامي هنا مبني على معلومات اولية وصلت إليّ خلال إقامتي لمدة (١٢) عاماً في نيجيريا - اكبر دولة افريقية من ناحية عدد السكان - كاستاذ محاضر في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو - كاتو . ■ ■

عليها المنصرون من اول يوم دخلوا هذه القارة ، فهم كانوا يعيشون بين القبائل المتوحشة ، بعيدين عن المدن وعن وسائل الراحة ، مستعدين لتحمل كل المشاق لأجل نشر النصرانية ، ولكن الداعية المسلم اليوم يفضل ان يقيم في مدينة تتوفر فيها كل وسائل الراحة . وبينما كان المنصّر - دائماً - يحاول البدء من الجذور ، فيبدي اهتمامه بالطفل ، ويؤثر على نفسيته الساذجة خلال التعليم والتربية : لم يوفق المسلمون إلى إنشاء مدارس تُعنى بتربية الطفل وتوجيهه وجهة سليمة .

ترجع إلى مقال الدكتور زناتي ، فنلاحظ ان الكتب التي اسس عليها مقاله كلها ترجع إلى الجيل السابق ، فهي تتكلم عما كان عليه الحال في النصف الاول من القرن العشرين . وهناك شيء ربما يفوت القارئ المتعجل - وهو ان المؤلفين الغربيين حاولوا من خلال دراساتهم للاوضاع تقديم اقتراحات وتوصيات إلى

واخطر ما في الموضوع ان المسلمين - حتى المثقفين منهم ، للاسف - يُخدعون بما يكتب المستشرقون والمنصرون عن الإسلام في افريقية : فالسواد الاعظم من المسلمين يعتقد ان الإسلام يكتسح القارة السوداء ، وانه ينتشر يوماً فيوماً دون ان تبذل محاولات جادة لنشره على عكس النصرانية او الديانات الأخرى .

وهذا ما يقبله الدكتور محمود سلام زنتاتي بناء على ما كتبه بعض الغربيين في كتبهم : والصحيح من هذا الجملة الأخيرة فقط ، وتعني انه لا توجد محاولات جادة لنشر الإسلام في القارة الافريقية : فنحن نتناسى او نتغافل - وما اكثر ما يتناسى المسلمون ويتغافلون - ان الوسائل الاعلامية - التي هي من الاجهزة الضرورية لنشر اية فكرة - كلها في ايدي القوى الاستعمارية النصرانية : ومن المؤلف جداً ان الدعاة المسلمين في افريقيا اليوم لا يحسنون استخدام الطريقة التي سار



شرقي آسيا وفي مناطق أخرى من العالم .

ولا يخدمك ما يقال : إن كذا وكذا عدداً من المبعوثين يشتغلون في هذه المناطق أو تلك البلاد ، فإن معظم هؤلاء لم يتم تدريبهم على العمل التوجيهي ، كما لم يتم تجهيزهم بأسلحة الدفاع عن الإسلام أمام الأخطار المحدقة بالمسلمين - ثم ليس هناك تنسيق للجهود أو خطة عمل موحدة يلتزمها كل مبعوث ، حتى الهيئات المختلفة التي تنظم أمر الدعوة لم توفق للتنسيق فيما بينها : وقد حان الأوان أن تشعر هذه الهيئات بضرورة هذا التنسيق وإعداد مبعوثيها على أحسن وجه لكي يقوموا بإداء واجبهم على أتم وجه .

وهناك شيء آخر يجب الاهتمام به ، وهو النهوض بهذه الشعوب اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً : ويمكن الوصول إلى هذا الهدف بفتح أكبر عدد من المدارس العصرية التي تكون مجهزة بوسائل تعليم مبادئ الدين ، وبيناء المستشفيات للمرضى ... ولكن الذي يحزني في النفس أن المسلمين يتخلفون في كثير من المجالات التي كان يجب عليهم السبق إليها ، وذلك لعدم اهتمامهم بشؤون الدين ، وإهمالهم المبادئ السامية التي أعلنتها الإسلام . فمثلاً تعاني الآن القارة الأفريقية - خاصة المناطق التي يكثر فيها عدد المسلمين - من الجذب ، وأهاليها مهردون بالمجاعة ، وكما قال المتنبي : مصائب قوم عند قوم فوائد ، وجدت الهيئات التنصيرية في هذه الكارثة مجالاً خصباً للتدخل في شؤون القبائل الأفريقية ونشر عقائدها الدينية ، فنسمع أن القساوسة انتشروا

من المناعة ضد الأخطار المحدقة بها : وليس هذا فحسب ، بل سيكون لهذا تأثير كبير في نفوس القبائل التي لمّا تدخلت حظيرة الإيمان بعد : فالشعوب الأفريقية في حالة تاهب واستطلاع . نرى ما يجري حولها من تصارع النظريات المختلفة ، ولكنها تبحث عن نظام متكامل للحياة يكفل لها الاستقرار النفسي والمادي وهذا لا يتوفر إلا في الإسلام . فيجب على الجهات المعنية بشؤون الدعوة الإسلامية النظر في هذه الأمور بعين الاعتبار وتنسيق العمل حول كل جانب منها ، والوصول إلى خطط محددة تضمن نجاح الدعوة وسيادة الإسلام ﴿ فَاسْتَشِوْا الْخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ ﴾ .

في كل منطقة متأثرة بالجفاف والمجاعة يقدمون المساعدات للمتكويين : ولم يتكاسل الشبوعيون فجددوا رفاقهم للعمل في هذا الميدان لأجل كسب عواطف الشعوب ، حتى اليهود أعلنوا أنهم مستعدون للمساهمة في توفير المواد الغذائية ومقاومة الخطر المحقق بالأفريقيين : ولكن لم يظهر أي عمل ببناء من جانب الكثير من المسلمين والمؤسسات الرسمية الإسلامية ، وكان يجب أن يتقدموا لإنقاذ الإخوة المسلمين من الخطر المحقق بهم .

وإذا استطلعنا أن نوفر وسائل الحياة الضرورية للشعوب المسلمة في أفريقية ، وتمكناً من الوصول إلى أهداف محققة في النهوض بها اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً فقد حصلنا على نوع